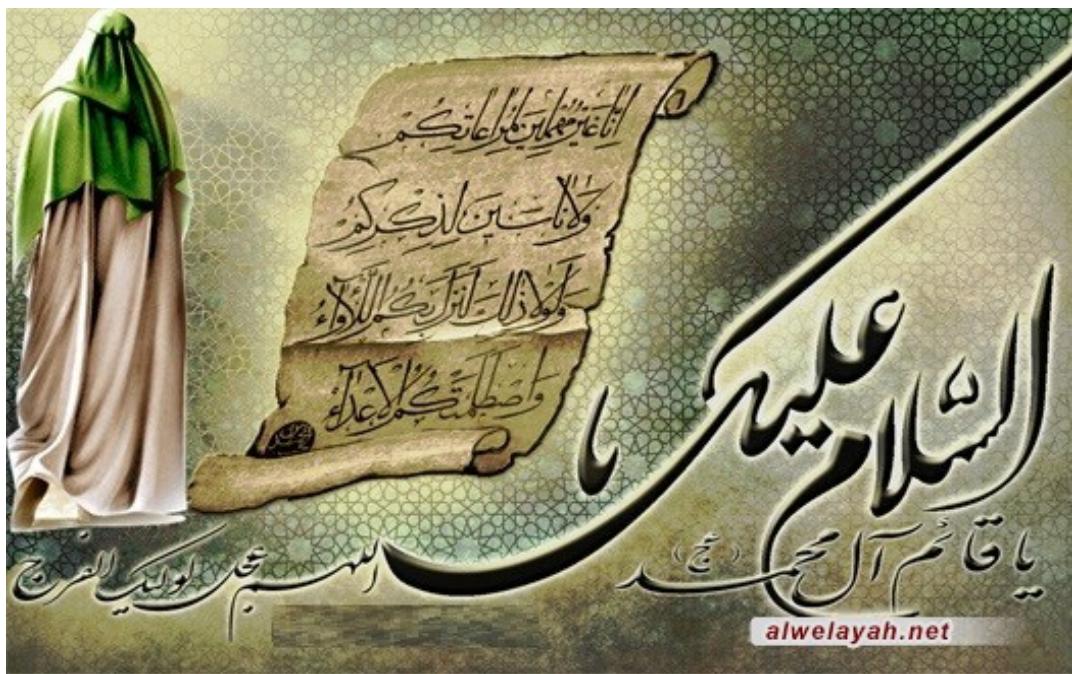


دور ولاية الفقيه في التمهيد لظهور الحجة (عجل الله فرجه)



الشيخ حسن فؤاد حمادة / المصدر: مجلة بقية الله

في البداية أشير إلى مجموعة عناوين ونقاط يتضمنها الدور المميز الذي تضطلع به ولاية الفقيه في التمهيد لدولة العدل الشامل على يدي الإمام محمد بن الحسن (عجل الله فرجه الشريفي). وحدة الهدف: من المؤكد أن الهدف العظيم لصاحب الزمان (عجل الله فرجه الشريفي) هو إقامة الحكومة الإسلامية العادلة على مساحة العالم كله، وإزالة الفساد والجور وكل ما هو باطل، وتحقيق حلم الأنبياء (عليهم السلام) جمِيعاً، والذي سعوا جاهدين لتحقيقه، غير أنهم لم يوفقا إلى ذلك. ولقد أعد الله تعالى الإمام محمد بن الحسن المهدي (عليه السلام) إعداداً خاصاً لهذا الغرض الإلهي المقدس، ووعد في كتابه الكريم بأن يظهر دينه الحق على الدين كله ولو كره المشركون، والإمام (عليه السلام) في طول غيبته وإلى زمننا هذا ووصولاً إلى يوم ظهوره الأغر لا هم لديه ولا هدف عنده أكبر من التحضير وانتظار اليوم الذي يؤذن له فيه بالظهور لإنجاز هذا التكليف العظيم، ولو أنه (عليه السلام) رحل عن هذه الدنيا إلى جوار ربه فلم يكن أحد غيره يقدر على القيام بهذا العمل الفريد. وولاية الفقيه تقوم في ركبتها الأساس على قاعدة أن الإسلام لا تنفصل فيه السياسة وإدارة المجتمع عن جوهر الدين والإيمان

والعمل لآخرة ولذا اقتضى أن يكون على رأس الدولة الإسلامية أو الحركة العاملة لذلك فقيه عادل مدبر، يضمن وجوده تحقيق الأهداف المنشودة. غير أنه من بديهيات ومرتكزات ولاية الفقيه أيضاً أن الهدف النهائي للدولة الإسلامية وهو إقامة الحكومة الإسلامية العالمية لا يمكن له أن يتحقق تحت إدارة الفقيه بل لا بد لذلك من حضور الإمام الغائب (عليه السلام) وممارسته لولايته الخاصة به والتي لا يبعد أن تشتمل على الولاية الإعجازية أو التكوينية، وأورد في هذا المجال كلاماً سمعته للإمام الخميني (قدس سره) أنقله بالمضمون وهو أنا: "لن نستطيع وحدنا القضاء على جميع المستكبارين في العالم وبالتالي تأسيس دولة العدل الشامل ولو كنا نقدر على ذلك لفعلنا. غير أن هذا الأمر يحتاج إلى الوجود المبارك لصاحب الزمان (عليه السلام)، غير أن علينا أن نسعى ما أمكننا القيام به في هذا السبيل".^٢ الولي الفقيه نائب الإمام الحجة (عليه السلام):^٣ بالنظر إلى نظام الحكم في الإسلام من وجهة نظر المسلمين الشيعة وهو نظام الإمامة المعصومة والمنصوص عليها بالاسم من قبل الوحي، فإن آخر هذه السلسلة الذهبية كانت ولاية الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن المهدي (عليه السلام) وجعل الله[َ] فرجه والذي اضطر إلى الغيبة بأمر الله[َ] تعالى، حفظاً لبرنامج إقامة دولة العدل الشامل، واستكمالاً للخطبة الإلهية في هذا الصدد بعد أن تعرض هذا البرنامج لنكسة خطيرة بعد وفاة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) بسبب تبني بعض المسلمين لما عرف بنظام الخلافة وإعراضهم عن نظام الإمامة المنصوص عليه من قبل الوحي، لذا فإن نظرية ولاية الفقيه قد ولدت كنظام بديل أو إضطراري لأجات إليه الظروف ودعت إليه الضرورة الحاصلة بغيره الإمام المعصوم (عليه السلام) منعاً من حصول الفراغ واستمراً للعمل بالبرنامج الإلهي بصورته المعدلة "والطارئية"، وبعبارة ثانية فإن ولاية الفقيه تستمد كامل شرعيتها بل ووجودها من كونها نظاماً بديلاً يعمل في طول نظام العممة والإمامية وليس في عرضه، ولذا عُدَّ^٤ الولي الفقيه نائباً للإمام المعصوم في زمن الغيبة ليس إلا.^٥ الحكومة الإسلامية في إيران ثمرة ولاية الفقيه:^٦ لا يمكن البتة عند الحديث عن دور ولاية الفقيه في التمهيد للظهور المبارك إغفال الآثار والنتائج الكثيرة لجهود العديد من الفقهاء العدول الذين بذلوا عبر مراحل تاريخية متعددة ومختلفة الظروف جهوداً مهمة في إعمال الولاية المناطة بهم، وبعضهم لم يوفق إلى ذلك والبعض الآخر وفق بشكل جزئي ومحدود، ولكل من تلك الجهود أثره في التمهيد والإعداد، غير أن الدور العظيم الذي يسجل بقوه في هذا الميدان هو النتاج الأخير لإعمال ولاية الفقيه في هذا العصر عبر انتصار الثورة الإسلامية وقيام الجمهورية الإسلامية في إيران على يد الإمام الخميني، والأهم تطور هذه الدولة والنظام الفتى ونموهما وحفظهما على يد الإمام المؤسس ومن بعده الإمام الخامنئي (دام ظله)، بحيث يمكن الادعاء بقوة بأن ما قدمته الثورة الإسلامية في طريق التمهيد لدولة العدل الشامل يفوق كل تصور، وذلك إلى الحد الذي دفع المراقب للاعتقاد بأنَّ هذه الثورة قد آذنت بالعد العكسي للظهور المرتقب، فالتأثير السياسي والثقافي الصخم للثورة في العالم الإسلامي بل وفي العالم وقوفها بثبات وشجاعة ورغم اختلال موازين القوى في وجه المشاريع الخطيرة لناهبي البشرية، والمساندة المستمرة لمسلمي ومستضعفـي العالم،

وتحولها السريع والحدى إلى محور للخير في العالم الذي يطفح بالشر وجنون العظمة وطلب التفرد بمصير وإدارة العالم، كل ذلك تم كفعل المعجزة والأسطورة ما عزز الاعتقاد بأن المسافة إلى اعلان الثورة العظمى لم تعد طويلاً وأن كل الأحوال والظروف باتت معدة للاستيقاظ المنتظر، ففي وقت كان مجرد حلم بعيد إقامة حكومة إسلامية، ولو في قطر إسلامي معزول عن التأثير في محيطه فضلاً عن العالم بأسره، وذلك بسبب مئات الأسباب الثقافية والتاريخية المعروفة ومثلها من الظروف الدولية والإقليمية والمحلية، مما بالك بأن تتحقق فجأة المعجزة بانتصار الثورة الإسلامية وإقامة دولة تجهد لإقامة العدل الإلهي في بلادها وهي دولة مقتدرة اقتصادياً وفي نقطة حساسة من العالم بل وفي مقطع زمني لا يقل حساسية وهو زمن نهاية الحرب الباردة بسقوط أحد الجبارين وتحول الآخر للسيطرة بمنهم المنتصر على باقي العالم غير معترف بوجود منافس في السياسة أو الفكر أو العقيدة يمكنه مجاراته. كل هذه الظروف والنتائج وغيرها، وتجاوز الثورة والدولة لعشرات المنعطفات الخطيرة وتنامي قدراتها، يشعر بقوّة أنها باتت تمهد الخطوات النهائية لبداية الظهور المبارك، وهذا ما عبر عنه الإمام الخميني (قدس سره) بقوله: "إن ثورة الشعب الإيراني هي نقطة البداية لثورة عالم الإسلام الكبرى تحت لواء الإمام الحجة أرواحنا فداء". رايات الولاية هي رايات الهدى الموطئة: وفي الختام ومن باب التبرك والاستئناس أشير إلى وجود العديد من الروايات عن أهل بيته العصمة والطهارة تلمح بوضوح إلى الثورة الإسلامية وقيامتها في الشرق (إيران وقم) قبل قيام القائم (عليه السلام) مثل قوله (صلی الله علیه وآلہ) : "يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدي سلطانه" ومثل وصفه عليه المصلاة والسلام للرايات السود المشرقية بأنها رايات هدى فأتواها ولو حبواً على الثلوج، ومثل رواية الإمام الكاظم (عليه السلام) عن "رجل من أهل قم يدعو الناس إلى الحق" في إشارة واضحة إلى الإمام الخميني (قدس سره). لكن تبقى الرواية الواردة في كتاب البحار عن الصادق (عليه السلام) "وبنظري القاصر" كالدليل الروائي القطعي على تمهيد الثورة الإسلامية في إيران المباشر والقريب للحجـة (عجل الله فرجـه الشـريف) وذلك بقطع النظر عن سند الرواية أو صحته وعدمه، فإن المعروف أن انطباق المتن على الواقع وإصابته للواقع فيما يعني الحديث عن المغيبات يغني عن تتبع الأسناد وأحوالها والرواية هي: "ستخلو كوفة من المؤمنين ويأزر عنـها العلم كما تأزرـ الحياة جـرـها، ثم يـظهرـ العلم بـبلـدـة يـقالـ لهاـ قـمـ، وـتصـيرـ مـعـدـناـ لـلـعـلـمـ وـالـفـضـلـ حتىـ لاـ يـبـقـيـ فـيـ الـأـرـضـ مـسـطـعـ فـيـ الـدـنـيـاـ حـتـىـ الـمـخـدـرـاتـ فـيـ الـحـالـ، وـذـلـكـ عـنـ قـرـبـ ظـهـورـ قـائـمـناـ، فـيـجـعـلـ اللـهـ قـمـ وـأـهـلـهـ قـائـمـينـ مـقـامـ الـحـجـةـ وـلـوـ ذـلـكـ لـسـاخـتـ الـأـرـضـ بـأـهـلـهـاـ وـلـمـ يـبـقـ فـيـ الـأـرـضـ حـجـةـ، فـيـفـيـضـ الـعـلـمـ مـنـهـ إـلـىـ سـائـرـ الـبـلـادـ فـيـ الـمـشـرقـ وـالـمـغـرـبـ فـيـتـمـ حـجـةـ اللـهـ عـلـىـ الـخـلـقـ حـتـىـ لاـ يـبـقـ أـحـدـ عـلـىـ الـأـرـضـ لـمـ يـبـلـغـ الـدـيـنـ وـالـعـلـمـ، ثـمـ يـظـهـرـ الـقـائـمـ (ـعـلـيـهـ السـلـامـ)...". وـرـغـمـ وـضـوـحـ الدـلـالـةـ وـالـمـضـمـونـ فـيـ فـقـرـاتـ الـرـوـاـيـةـ إـلـاـ مـاـ يـلـفـتـ الـنـظـرـ أـمـوـرـ مـنـهـ إـلـيـهـ الـإـخـارـ عـنـ هـجـرـةـ الـعـلـمـ عـنـ مـدـيـنـةـ الـنـجـفـ الـأـشـرـفـ (ـكـوـفـةـ)ـ وـهـذـاـ الـأـمـرـ يـتـحـقـقـ فـيـ هـذـاـ الـعـصـرـ لـلـمـرـةـ الـأـوـلـىـ فـيـ تـارـيـخـ الـحـوـزـةـ مـنـذـ أـكـثـرـ مـنـ أـلـفـ سـنـةـ، وـمـنـهـ ظـهـورـ الـعـلـمـ فـيـ مـدـيـنـةـ يـقـالـ لـهـ قـمـ حـيـثـ لـمـ تـكـنـ قـمـ حـاـضـرـةـ مـعـرـوـفـةـ فـيـ زـمـنـ الـإـمـامـ الصـادـقـ (ـعـلـيـهـ السـلـامـ)ـ كـمـ أـنـ الـحـوـزـةـ

جديدة التأسيس لا يتجاوز عمرها مائة سنة بل من المؤكد أن ازدهار الحوزة في قم على المستوى العالمي إنما ظهر بعد الثورة الإسلامية وبشكل أوسع بعد ضمور حوزة النجف وانتقال علمائها وطلابها إلى حوزة قم المقدسة. [٢] ومنها أخيراً الإشارة إلى حكومة ولاية الفقيه في إيران وذلك عبر الإشارة إلى النيابة عن الإمام الحجة بقوله (عليه السلام) "فيجعل اللّـهـ قم وأهله قائمين مقام الحجة"، ومنها الحديث عن اتمام الحجة على العالم بفضل قم وعلمها وموافقتها وهذا أمر تحقق إلى حد الطفرة بعد الثورة وإلى اليوم وعلى جميع المستويات الثقافية والسياسية وغيرها ومنها وهو الأهم قوله أخيراً ثم "يظهر القائم (عليه السلام)"، بحيث يستفاد بأن الظهور المبارك هو مباشر بعد حصول هذه السلسلة من الأمور ببركة الثورة الإسلامية والتي تعبر قم وحوزتها عن جوهرها ومبادئها وثقافتها وأهدافها. [٣]
